روائع القصص العالمية

رحلة إلى باطن الأرض

جول فيرن

أكاديميا

روائع القصص العالمية

رحلة إلى باطن الأرض

إعداد
ماغالي الحاج

أكاديميا
بيروت - لبنان

رحلة إلى باطن الأرض

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا إنترناشيونال، 2017

ISBN: 978-9953-37-939-5

جميع الحقوق محفوظة
All Rights Reserved

الناشر

أكاديميا إنترناشيونال
فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيبلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 2140 1103 لبنان

Academia International
Verdun,Rashid Karameh St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

هاتف Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832
فاكس Fax (+961 1) 805478

بريد إلكتروني E-mail academia@dm.net.lb
info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com
www.kitabalarabi.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال ش م.ل
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International S.A.L.

المحتويات

البروفسور وعائلته 4
الكتاب القديم 8
كشف السر 14
تحضيرات الرحلة 18
بداية الرحلة 23
إلى أسفل البركان 26
رحلةٌ صعبةٌ 30
في مهبّ الضياع 34
نباتات وحيوانات 40
التسبب بثوران بركاني 44
نهاية الرحلة 46

البروفسور وعائلته

في 24 أيّار/مايو 1863، عادَ عمّي البروفسورُ ليدنبروك مُسرعًا إلى منزِلِه في كونيغستراس في هامبورغ. صرخَتِ الطاهيةُ مارتا عندَ عِلمِها بِعودَتِه قائلةً: «أستاذ أكسيل، الوجبةُ ليسَتْ جاهزةً بعْدُ، وأنتَ تعرِفُ أنّ البروفسورَ ليدنبروك يفْتقِرُ إلى الصَّبْر. لا شكَّ أنّني سأُعاقَبُ اليوم.»

أجَبْتُها: «لا تهْلَعي يا مارتا! بقيَ لنا نصفُ ساعةٍ لإعدادِ الطعام. لربّما أتى لإتمامِ عملٍ ما.»

وكنْتُ على حقّ، إذ دخل عمّي مكتبه فورًا.

وعادتِ الطاهيةُ مارتا إلى مطبخِها قائلةً: «الْحَقْني يا أكسيل!»

كانَ أوتّو ليدنبروك أستاذًا في جامِعةِ جوهانوم يُدرِّسُ عِلْمَ المعادن. ولم يكنْ يكْترِثُ إن كان التلاميذُ ينتبهون لمحاضراته أم لا. فقد اعْتمدَ طريقةً «ذاتيّةً» في التدريس، لنفسه، لا للآخرين. وإلى جانبِ كونِه رَجُلَ علمٍ مميّزًا، كان بِغايةِ البُخْلِ في نَقْلِ مَعْلوماتِه ونشرِها.

وللأسف، لَم يكن عمّي يَتمتَّعُ بِسهولةٍ في النّطْق. فكان يوقفُ شرْحَه قليلاً في جوهانوم حين يَصْعُبُ عليه لفظُ بعضِ الكلمات. وكثيرًا ما يَزِلُّ لسانُه عندما يَنطقُ العباراتِ الصّعبة حتى صار مَحطَّ سُخْرِيةٍ عند التلاميذ.

إلّا أنه كانَ فِعْلاً عالمًا مُتمرِّسًا، اسمه مُتداولٌ على كُلِّ لسانٍ في الكُلِّيّاتِ والمُجْتمعاتِ العِلْميّة. فقد كان قيِّمًا على مُتْحَف المعادنِ الذي أنشأهُ السفيرُ الروسيُّ الأستاذُ ستروف. ويَضُمُّ هذا المُتْحَفُ أكْبَرَ مَجْموعةٍ قيّمةٍ ذاعَ صيتُها في كافَّةِ أرْجاءِ أوروبا.

كان عَمّي رجلاً جميلاً، مَمْشوقَ القامة، أشْقَرَ الشَّعْر، وذا صحّةٍ جيدة. وكان في العَقْدِ الخامسِ من العُمُرِ إلاّ أنّه يُوحي بأنه لم يتعدَّ الأربعين عامًا. وكانَ رجلاً غنيًّا يملكُ منزلاً تَقطنُ فيه ابنتُه بالمَعْمودية غروبن والخادمةُ مارتا وأنا باعتباري يتيمًا وابنَ شقيقه، وحتّى مساعدًا في المختبر. لطالما أحببْتُ عَملي وكنتُ سعيدًا لأنّني أعيشُ مع عمّي. ورُغْم افتقارِه للصَّبْرِ أحيانًا، فقد كان يُحِبُّني كثيرًا.

وكان يصْرُخُ: «أسرِع يا أكسيل»، ثُمَّ يَركضُ إلى غُرفةِ عملِه التي تُشْبِهُ المُتْحف كثيرًا إذ تجِدُ فيها كلَّ أنواعِ المعادِن. «يا لَه مِن كتاب! يا لَه من كتاب!» كان يقولُ بانفعالٍ وهْوَ يُحدِّقُ بي. «هذا كتابٌ استثنائيٌّ يسردُ وقائعَ عن الأُمراءِ النّروجيّين الذين حكموا آيسلندا، وقد كَتبه أحَدُ أهمِّ كُتّابِ القرْنِ الثاني عشر باللّغةِ الآيسْلَنْديةِ القديمة. علينا تفْكيك رُموزِه ومُحاولةُ فَهْمِه».

وَكُنْتُ أُجيب: «رائع!»

وسُرْعان ما أبْلَغتْنا مارتا أنّ العشاء أصبح جاهزًا. نزلْتُ وانْتظرْتُ عَمّي. لا يتأخّرُ البروفسور عادَةً لا بل يُعْطي أهميّةً كبيرةً للوجبات، إلا أنّ الأمْرَ في ذلك اليومِ كان مُخْتلِفًا. لَمْ ينْزِلْ فأكَلْتُ وحْدي.

الكتاب القديم

عُدْتُ إلى مَكْتبِ عَمّي بعدَ العَشاء. أعطاني مَخْطوطةً جلديّةً وسِخة سَقطتْ من كِتابِه. وهي قِطْعةٌ مُستَطيلةٌ بعرضِ ثلاثةِ إنشاتِ وطولِ خمْسة، كُتِب عليها أُفُقيًا أحْرُفٌ غريبة تُشبِهُ المَخْطوطاتِ السّحرية. سألْتُ: «أهذِهِ اللغةُ الرُّونية؟»

فأجاب البروفسور: «إنّها الرونية بالتأكيد، لكنّ فيها سِرًّا أَوَدُّ كشْفَه. سأتْلو عليكَ كُلَّ حَرْفٍ من أبجديّتِنا يتناسبُ مع تلك الأحْرُفِ الآيسلندية. ولْنرَ ما الذي سنحصُلُ عليه.»

وَبدأتُ الإملاء، حَرْفًا تلوَ الآخر. والنتيجةُ المُفاجئةُ كانَتِ التالية:

mm. rnlls esrevel seeclde sgtssmf vnteief niedrke kt, samn atrateS saodrrn emtnael nvaect rrilSa Atsaar. nvcrc ieaabs ccrmi eevtvl frAntv dt. iac oseibo Kediil

وعندما انتهينا، أخذَ عمّي الورقةَ وراح يَتفَحَّصُها مُطوَّلاً بدقّةٍ شديدةٍ. «هذا هو ما نُسَمّيهِ البرقيّةَ المُشفّرة، حَيثُ يَختفي المعنى وراء أَحْرفٍ غيرِ واضحةٍ. إذا نَجَحْنا في ترتيبِها بالشّكْلِ المُناسِبِ نَحْصُلُ على معْنى حقيقيٍّ ولُغْزٍ يقودُنا إلى اكتشافٍ كبيرٍ!»

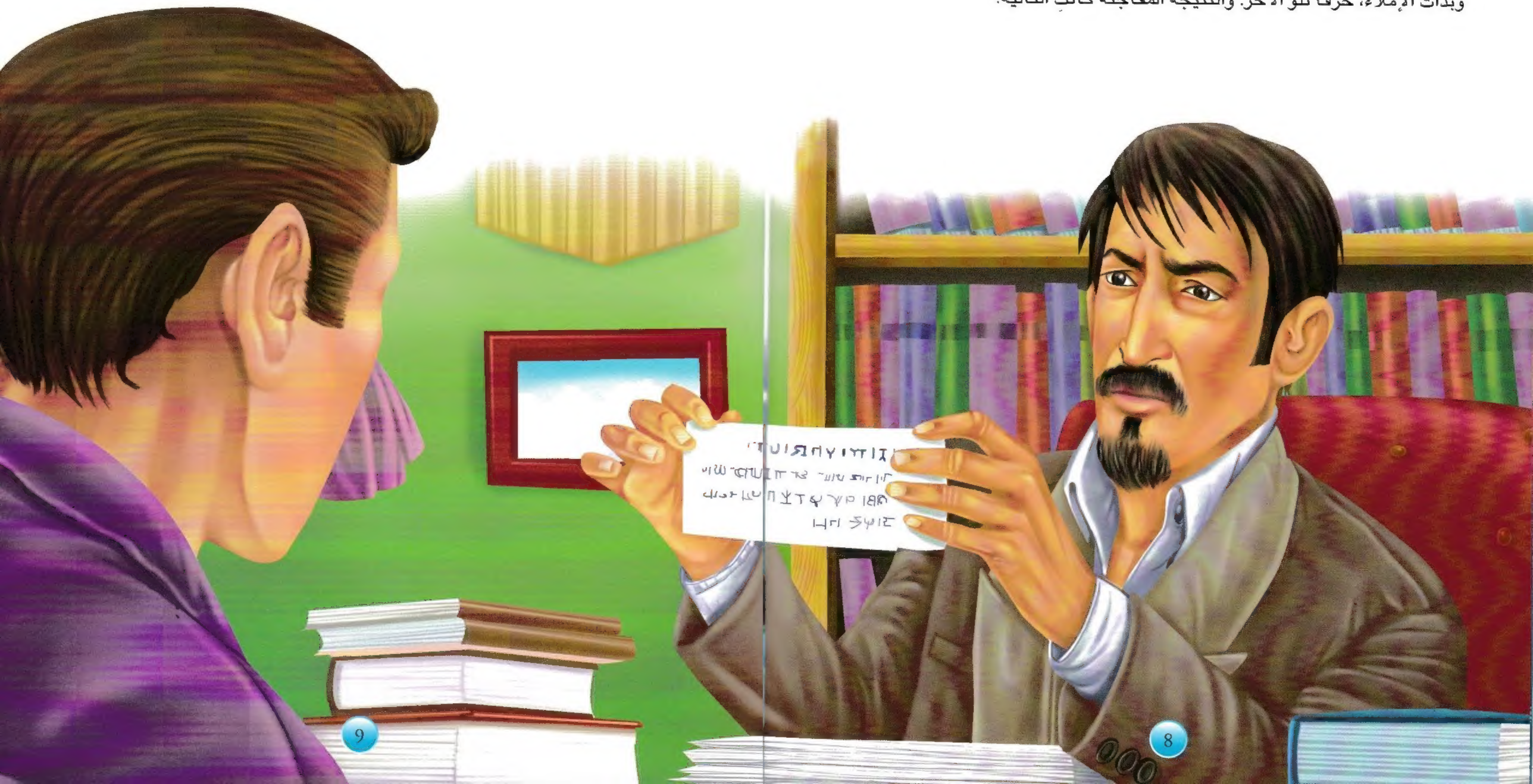

ومع أني لَم أَكُن أعتقدُ أنَ ثمّةَ معانيَ وراءَ تِلْك المَخْطوطات، لكنّي لم أجرؤْ أن أقولَ ذلكَ لعمّي. أَخَذَ البروفسور الكتابَ وتَفَحَّصَه بِسُرْعة. وكان يريدُ أن يعرِفَ إن حصلَ أحدٌ على هذا الكتابِ من قبْل.

وبعدَ قليل، انْفعلَ قائلاً: «آرْني ساكنوسيم! إنّه اسمٌ آيسلندي، اسمُ عالمٍ وكيميائيٍّ معروف من القَرْن السادس عشر. وقد تَوَصّل، هو وبعضُ الكيميائيين الآخرين، إلى اكتشافاتٍ كبيرة.سأكتَشِفُ سرَّ هذه المستندات. لن آكُلَ ولن أنامَ قَبْل ذلك. عليك أن تُساعِدَني يا أكسيل.»

وَفكّرْتُ: «أنا أيضًا يا عمّي، لن آكُلَ ولن أنامَ قبل كَشْفِ هذا السِّرّ.»

جَلَسْنا عمّي العزيزُ وأنا إلى الطاولةِ وحاوَلْنا تفكيكَ مِفْتاح الرمز. كان عمّي مُسْتعدًا لفِعْلِ أيّ شيءٍ مُقابِل فَكّ هذه الشفرة، فَجَهَدَ مُحاوِلاً شَتّى الطُّرُقِ. وبعد ساعاتٍ من العَملِ الشّاقِّ وَصَلْنا إلى الاستِنْتاج التالي:

mmessvnka Senr A. icefdoK. segnittamvrtn ecertserrette, rotaisadva, ednecsedsadne lacartniiilv Isiratrac Sarbmvtabiledmek meretarcsilvco IsleffenSnI

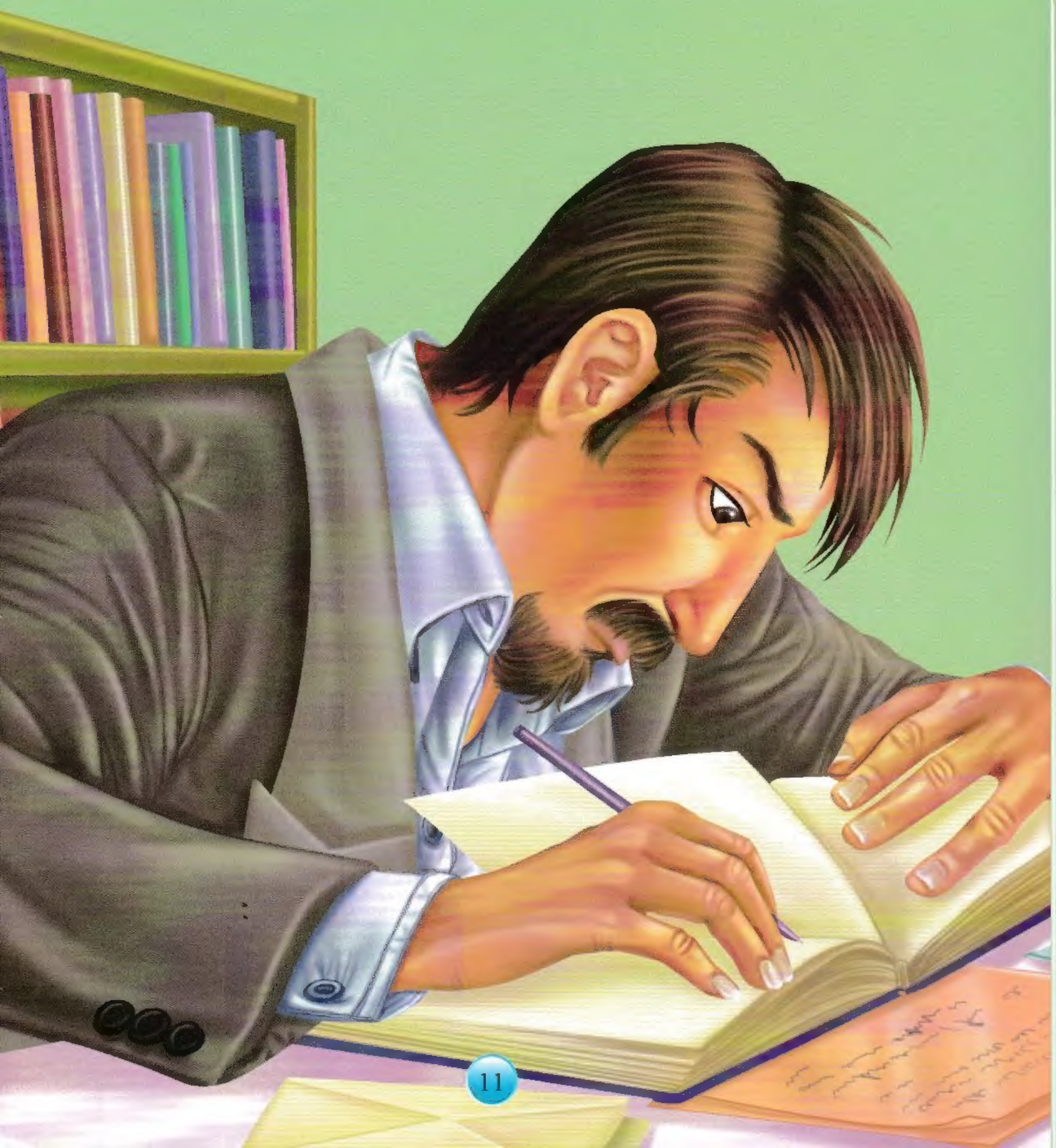

لَم يَرضَ العمُّ ليدنبروك بهذه النتيجة: «هذا لا يعني أيّ شيء. ينبغي أن يكونَ الأمرُ أكثرَ من ذلك!»

وقَبل أن أجيبه غادر المنزل على عجل. ففكّرْتُ: «عليَّ أن أزورَ غروبن وأخبرها بما يحدث.»

كنتُ مُغرمًا بغروبن، وَوَدَدْتُ أن أُناقِشَ المسألةَ معها لأنّها كانتْ أيضًا عالمةَ معادِنٍ وتستطيعُ أن تُساعِدَنا. إلا أنَّني عُدْتُ وقَرَّرْتُ البقاءَ في المَنْزل. أردْتُ أن أكونَ مَوْجودًا إذا عادَ عمّي. أخيرًا، جَلَسْتُ إلى طاولتي وقرَّرْتُ أن أُحاولَ اكتشافَ المعنى الحقيقيّ وراءَ تلكَ الأحرف.

حاوَلْتُ جمْعَها لتشكيلِ كلماتٍ، لكن من دونِ جَدوى. أوَشَكْتُ أن أفقدَ عقلي! لكني بقيتُ مثابرًا. شَعرْتُ بحرارةٍ في دِماغي وأخذتْ عيناي تذرفان الدموعَ فأَحسَسْتُ أنّ الأحرفَ على الوَرَقةِ تَتَطايرُ من حولي. وبشكلٍ لاشعوري، أخذتُ الورقةَ واسْتَخْدمْتُها كمِرْوحَةٍ. وبدأ جانبا الورقةِ يلوحان أمامَ ناظريّ. ولدهْشَتي، حينَ ظهرَ القفا من جِهتي، رأيتُ كلمات لاتينية ‘*Craterem*’ و‘*terrestre*’، وغيرهما.

كشف السر

فَجْأَةً، بهرَني شُعاعُ نورٍ عظيم. لقد اكتشفْتُ مِفْتاحَ اللُّغْز. فشعرت بالانفعال. ألقَيتُ الورقة على الطاولةِ، وانحنَيْتُ فوقَها. قرأْتُ الجُمْلةَ بصوتٍ عالٍ. ذهول! هلع! جلستُ مُتَسمّرًا في مكاني. فما قرأْتُه قد حَدَث! آرْني ساكنوسيم قَدْ سافَرَ إلى باطِنِ الأرض!

صرخْتُ: «آه! يجبُ أن لا يعلمَ عَمّي بذلك». لكنّ عَمّي يُريدُ أن يَعْرِفَ كلَّ شيءٍ وبالتالي سوفَ يمْشي على خُطى آرْني ساكنوسيم. إضافةً إلى ذلك، سوف يُلِحُّ على اصطحابي معه ممّا يَعْني أنّنا لن نعودَ أبدًا. قرَّرت أن أُتْلِفَ المُسْتَنَدَ، وفي اللحظةِ ذاتِها ظهرَ عمّي.

بدا مُنْهَمِكًا كثيرًا. جَلَسَ على كُرْسِيِّه وفي يدِه قلمٌ. ثُمّ بدأ يَحْسُبُ. عَمَلَ عمّي على مدى ثلاث ساعاتٍ من دون أن يَتَفَوَّهَ بكلمةٍ ولم يرفعْ حتى رأسه. ظلَّ يمحو، ثمّ يبدأ من جَديد، ثم يَمْحو مرارًا وتكرارًا. بقي كُلَّ الليلِ على هذه الحالِ حتّى ساعاتٍ مُتأخّرةٍ مِنَ الصّباحِ. كُنتُ مَحْبوسًا مَعَه في المَكْتَب.

انتظرْتُ بهدوءٍ والجوعُ يُضْنيني. أصبحتِ الساعةُ الثانيةَ مِن بَعد الظُّهْرِ ولم يبدُ عمّي مُسْتَعِدًّا لِفتحِ البابِ قبلَ اكتشافِ اللُّغْز. ففكّرْتُ: «لا بدّ أنّني أُبالِغُ في شأنِ هذه الوثيقة. فالعمُّ ليدنبروك لَن يصدّقَ شيئًا كهذا، ولو فعلَ سَأَحْبِسُهُ في البيتِ ولن أدَعه يَذهبُ إلى تلك المُغامَرَةِ.»

هكذا، قَرَّرْتُ أن أَبوحَ بالسرّ.

صَرَخْتُ بصوتٍ عالٍ:«عمّي ليدنبروك! لقد اكتشفتُ سِرَّ هذه الوثيقة!»

صاح: «ماذا تقول؟»

أَجَبْتُ: «اقرأ الورقةَ من البدايةِ إلى النِّهاية.»

وما إن أَنهَيْتُ جُمْلَتي حتّى صاحَ عمّي. شَعَرَ بحقيقةِ الاكْتِشاف. لقد تغيَّرَتْ ملامِحُه. ثم تَرجَمَ الكَلِماتِ إلى الإنكليزيّة وقَرَأَ:

«انزلْ إلى فُوَّهَةِ بُرْكانِ سنيفل عندما تقعُ عليه ظلالُ سكارتاريس قبل بدايةِ شهر تمّوز/يوليو، وهكذا ستصلُ إلى باطن الأرض. هكذا فعلْتُ أنا. آرْني ساكنوسيم»

بعد ذلك، خَرَجَ عمّي من القاعَةِ لِتناوُلِ العَشاء. وفيما كُنّا نأكُلُ، أَعْلَمَني قائلاً: «بعْدَ العَشاءِ، حَضِّرْ حقيبتَك والأمتعةَ كي ننْطلِقَ في رِحْلةٍ استكشافيّة.»

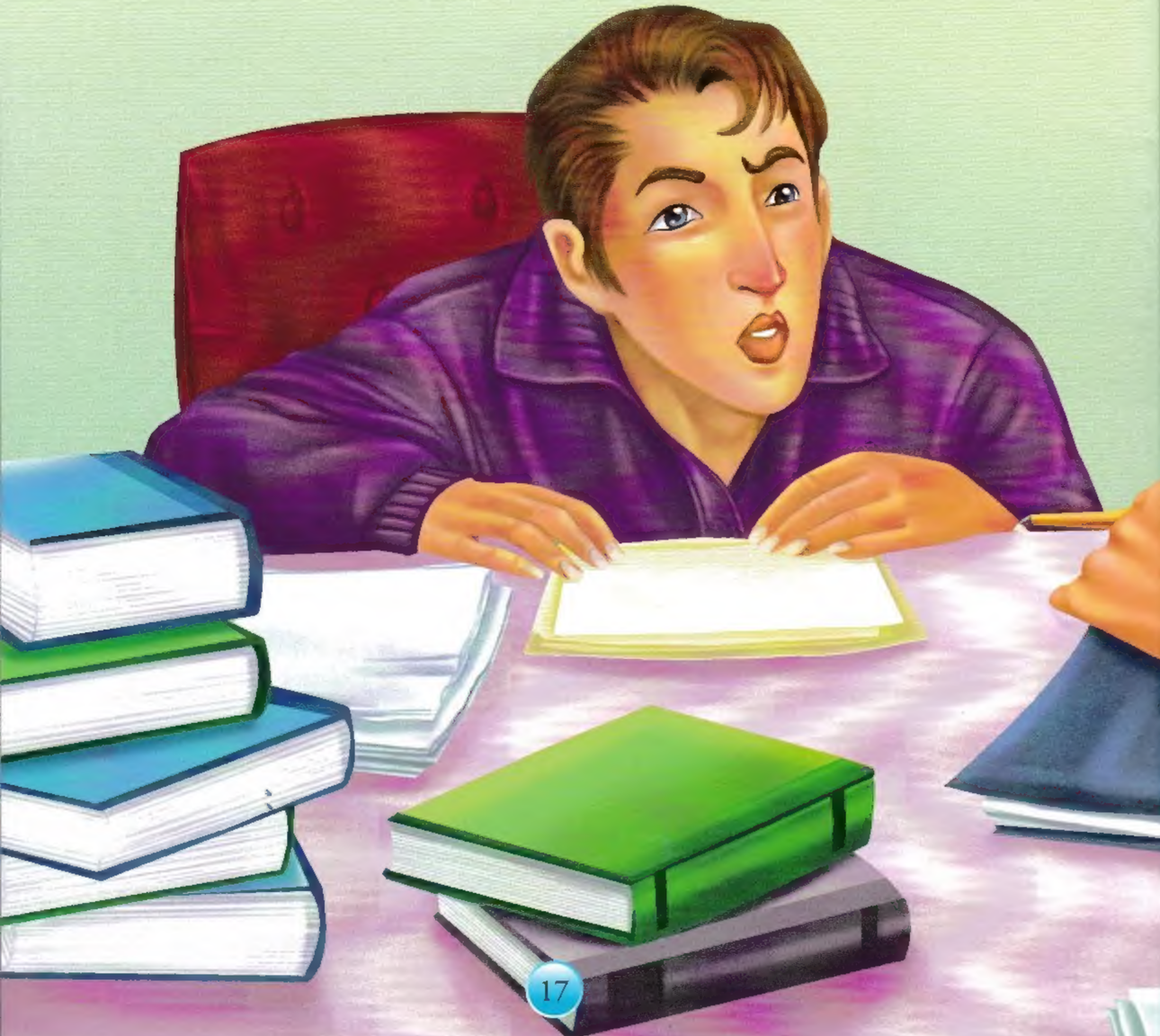

تحضيرات الرحلة

عندما سمعْتُ كلمات عمّي، أحْسسْتُ برجْفةٍ باردةٍ تنتابُ جسدي، لكنّني تمالكْتُ نفسي وحافظتُ على رباطةِ جأْشي. بعْد العشاءِ، صعِدْنا إلى المكتبِ وقلْتُ: «لا يُمكننا السفرُ إلى باطن الأرض من دون أن تحْرق النارُ أجسادنا.»

أجاب عمّي: «عزيزي أكسيل، لطالما كان جوفُ الأرض موضوع فرضيّاتٍ عدّةٍ عند الجيولوجيين. لا إثباتات تُؤكّدُ وجود هذه الحرارةِ الداخليّة. وبرأيي، إنها غير موجودة.»

ثمّ سألْتُه عن معْنى بعْض الكلماتِ، فشرح لي: «سنيفل هو بركانٌ في آيسلندا وسكارتاريس هو أحدُ قِممِه.»

أذْهشتْني إجاباتُ عمّي السريعة. أقْنعني تمامًا أن أرافِقه في رِحْلته بعد شرْحِه لهذه العباراتِ وتحليلِهِ المنْطِقيّ الذي أشْبع فضولي.

ثم سألْتُه: «ماذا عن بدايةِ شهرِ تموز/يوليو؟»

فأجاب: «قبل تمّوز/يوليو، سكارتاريس يُغطّي بظلّهِ مدْخل فُوَّهةِ البركانِ التي تُؤدّي إلى باطن الأرض. لذا يسْهُلُ علينا إتمامُ رِحْلتِنا بسبب هذه التعْليمات. كلّ ما نريدُه هو أن نعرف أين تكْمُنُ هذه الفُوَّهةُ تحديدًا. سوف نسْتعينُ بالخرائط التي بحوْزتي.»

كان مُنْهمِكًا بعملِهِ فذهبْتُ لمقابلة غروبن. ورجوتُ أن تُثْنينا عن الذهابِ في استكشافٍ كهذا. إلا أنّها، ولدهْشتي الكبيرة، تمنّتْ لي التوفيق وحضّرتْ لنا احْتفالًا وداعيًا!

بَدأْنا إذًا، عَمّي وأنا، رحلتنا إلى باطنِ الأرض!

بعد أسابيع عديدةٍ قَضَيْناها بين القطارِ والزَّوْرقِ والسَّيارة وصَلْنا إلى آيسلندا. وكان أوّلُ مَنِ التقَيْنا به الرجلَ الوسيم البارون ترامب، حاكمَ آيسلندا الذي وضَعَ نفسَه بتصرُّفِ عمّي بعد أن قرأ رسائلَ التوصيةِ التي قدّمْناها.

ثُمَ قابلْنا الأستاذ فريدريكسن، أستاذَ العلوم الطبيعيّةِ في كليّةِ ريكيافيك. وكان رجلاً لطيفًا وفيلسوفًا متواضِعًا لا يُتقِنُ إلا اللّغتَيْنِ اللاتينية والدانمركية. اسْتَقْبَلَنا في دارتِهِ وصارَتْ علاقتُنا به وطيدة.

عَيَّن الأستاذُ فريدريكسن صيَّادًا لِمُرافقَتِنا اسمه هانس. وكان رجلاً كَتومًا ورَصِينًا وقليلَ الانْفِعال. أعلمنا أنّه يجبُ أن نمشيَ حوالي سبع أو ثماني ساعات يوميًّا على طولِ المُنْحدَرِ لِنصِلَ إلى أسفلِ البُرْكان. بدا أنّ عمّيَ وهانس كانا متفاهمين.

انتقلْنا مع أمْتِعتِنا في قافلةٍ مِن أربعةِ خيول. كان هانسُ يعرفُ جيّدًا هذا القِسْمَ من المُنْحدرِ ووَعدَنا أن نسْلُك الطريقَ الأقصر. احتجتُ للكثير من الوقتِ لأُحضِّرَ الأمتعة: ميزانًا للحرارة، وبارومترًا مَعْدِنيًّا لقياس الضغط الجوي، وساعةَ توقيت، وبوصلتين، ونظّارات ليليّة، وجهازين يُحملان باليدِ للإنارةِ القويةِ. وتسلَّحْنا ببُنْدقيّتيْنِ ومُسدَّسَيْنِ وحَملْنا مِعْولَيْنِ ومِنْكاشيْنِ وسُلَّميْنِ مِن الحِبال الحَريريةِ وثلاث عِصِيٍّ حديديّةٍ وفأسًا ومِطْرقةً ودَزّينة أسافين ومسامير مِن الحديد وحِبالاً طويلةً معقودةً. كذلك حملنا طعامًا يكفي لأشهرٍ عديدة. وفي النهاية، أضفْتُ علبةً للإسعافاتِ الأوّليةِ وخريطة آيسلندا استعارها عمّي من الأستاذ فريدريكسن. وقد شكره عمّي بحرارةٍ على كَرمِه ولُطْفِه.

بداية الرحلة

كانَ الطقْسُ جميلاً في بدايةِ رِحْلتِنا، لا حرارة مرتفعةٌ ولا أمطار. آيسلندا هي جزيرةٌ كبيرةٌ في أوروبا. مساحتُها أربعةَ عشرَ ألف كيلومتر مربع ولا يقطنُها سوى ستين ألف شخْص. قسَّمَها الجغرافيون إلى أربعةِ أجزاء وكُنّا نَعْبرُ المنطقةَ الجنوبيةَ الغربيّةَ «سودفستر فجوردونغر»، وقدْ اجتزْنا المراعيَ والجِبال الوعِرة.

كُنّا نرى في بعضِ الأحيانِ تكتُّلاتٍ ثلجيةً تلْمعُ فوق القِمَم. استعنْتُ بالخريطة لأُحدِّد مكان غاردار حيث سنُمْضي ليلتنا. كانتِ الساعةُ الرابعة وقد مشينا أربعةَ أميالٍ آيسلندية، أي ما يساوي أربعة وعشرين ميلاً إنكليزيًا. ثم أتى شخصٌ غريبٌ وأعلمَنا أنّهُ يُمْكِنُنا ركوبُ الزورقِ للتنقلِ بسرعة، ففرِحْنا كثيرًا.

صعِدْتُ أنا وعمّي وهانس والخيولُ على عَوّامةٍ وَوَصَلْنا إلى غاردار في غضونِ نصفِ ساعة. كان من المفروضِ أن يحلَّ الليل، إلا أن الشمسَ لا تغيبُ في آيسلندا في شهري حزيران/يونيو وتموز/يوليو. وصلْنا إلى منزلٍ بدائيٍّ متواضعٍ يملكُه فلاحٌ استضافَنا كالملوك.

استقبلَتْنا عائلةُ الفلاحِ بِحَفاوَةٍ إلا أنّنا غادَرْنا منزلَهُم في الصَّباحِ الباكرِ بعد أن شَكَرْناهُمْ مرارًا. وعلى بُعد عشرات الأمتارِ من غاردار، تغيَّرتْ نوعيةُ الأرضِ وبات السَّيْرُ أكثر صعوبةً للتقدّم. مرَّت بضعةُ أيّامٍ لم يُسجَّلْ فيها أيُّ حَدَثٍ يُذْكَر. وَصَلْنا إلى بودير، قرية هانس.

كانت عائلتُه مِضْيافةً للغايةِ فأقمْنا عندَهُمْ ليلةً واحدَة.

في اليومِ التالي، بَلَغْنا أسفلَ البُرْكان. ابتهجَ عمّي وقال: «هنا يُسيطرُ العِمْلاقُ الذي سأغلبُه.»

يَعلو سنيفلُ خمسةَ آلافِ قَدَم. ولأن البروفسور ليدنبروك عَمّي، لا بدّ أن أقتديَ به وأراقبَ بدقّةٍ وفُضولٍ كُلَّ ما حَوْلي. كنتُ قادرًا على رفعِ تَقْييمٍ جيولوجيّ كاملٍ لآيسلندا بمجرّد مشاهدتي للصخور. إلا أنَّ طريقَنا أمسى صَعْبًا والتَسَلُّقَ صارَ أقسى. فقد كانت تتناثر تحت أقدامِنا أجزاءٌ صغيرة من الصخور تتطلبُ مِنّا انتباهًا فائقًا تفاديًا لأيةِ سَقْطَةٍ خَطيرة.

من جِهَتِه، تابعَ هانسُ مسارَه بهدوءٍ كأنّنا ما زِلنا في بدايةِ الرحلة. كان يَخْتَفي أحيانًا وراءَ الصخورِ العملاقة، فكُنا نلحقُه حسب صوت الصّفّارة. مرَّتْ ساعاتٌ من التسلّقِ والمَشْيِ حتى وصلنا إلى قِمَّةِ جبلٍ هائلٍ. كانت البحارُ تمتدّ أمامَ أعْيُنِنا على عُمْقِ ثلاثةِ آلافٍ ومِئَتي قَدَم. كنتُ مُرْهَقًا، لكنّ هانس نصَحَنا بعبورِ المزيدِ من المسافاتِ بسُرْعةٍ قَدْرَ المستطاع إذ إن سَحابةً من الغُبار سوف تَتَشَكَّلُ في السُّهول. وأخيرًا، عند الساعةِ الحاديةَ عَشَرَ، بلغْنا قِمَّةَ سنيفل.

إلى أسفل البركان

تناولْنا العشاء بسُرْعةٍ وقرَّرْنا أن نخْلُدَ إلى النوم على سريرٍ من الغرانيتِ القاسي. نِمْتُ جيدًا لا بلْ كانتْ أجملَ ليلةٍ في حياتي! في اليوم التالي، استيقظنا في الصباحِ الباكرِ ونحن نَرْتجِفُ من البرْد. دَلّني عمّي على فُوَّهةٍ سنيفل. وكانتْ تُشْبِهُ الكُوزَ المقلوبَ بفُتْحَةٍ قُطْرُها نصفُ فرسخ، يزيد عُمْقُها عن ألفي قدم. ما يعْني أن نزول المُنْحَدرِ ليس صَعْبًا. وكان مُحيطُ قَعْرِ الكُوزِ يُعادِلُ مئتينِ وخمسين قَدَمًا.

بدأتْ رحلتُنا للنزولِ إلى فُوَّهةِ البُرْكان. حَدّدَ لنا هانسُ المَسارَ اللَّوْلبيَّ الذي سَنَتْبَعُهُ. لاحظْنا في طريقِنا وجودَ بعضِ الصخورِ البُرْكانيّة والأنهارِ الجليديّة. هنا، كان هانسُ يتقدَّمُ بتأنٍّ كبيرٍ واضطررْنا في بعضِ المَمَرَّاتِ الصَّعْبةِ أن نَتَمسَّكَ ببَعْضِنا بواسطةِ حَبْلٍ، فإذا سَقَطَ أحدٌ أمسكَ به الباقون. وفي مُنْتَصَفِ النهار، وَصَلْنا إلى أسفلِ الفُوَّهَة.

هناك وجدْنا ثلاث مداخِنَ يبلُغُ قُطْرُ كُلِّ واحدةٍ منها ثلاثمِئَةِ قَدَم. لم أمْلِكِ الشَّجاعةَ للنظرِ إلى عُمْقِ إحداها لكنَّ عمّي تفحَّصها بسُرْعة. وفجأة، صرخ. ورأيتُه واقِفًا أمامَ صَخْرَةٍ غرانيت كبيرةٍ وسط الفُوَّهة، ويداهُ مَمْدودتان، وساقاهُ مُتباعدان.

«أكسيل، أكسيل. انْظُرْ!»

قرأتُ الاسمَ البغيض بأحرفِ اللغة الرونيّة شبهِ المُتفكِّكة – آرْني ساكنوسيم!

صاحَ عمّي: «آرْني ساكنوسيم! نحنُ على المسارِ الصَّحيح»

لم أُجبْه.

قضَينا ليلتَنا في أسفلِ الفُوَّهَة.

وفي صباحِ اليومِ التالي، كانتِ السماءُ رماديةَ اللونِ وملبَّدةً بالغيومِ فوق الفُوَّهة. وكان ساكنوسيم قد دخلَ مِدْخنَةً واحدةً من المداخنِ الثلاث. وبحَسبِ البرقيّةِ المُشفَّرةِ

فقدِ اختارَ المَسْلَكَ الذي يُغَطِّيهِ ظلُّ سكارتاريس. وبما أنَّ الشمسَ لم تكنْ ظاهرةً، فإن الظلالَ كانتْ معدومة.

مرَّتْ أيامٌ عديدةٌ وظلَّتِ السماءُ مُلبَّدةً بالغيومِ وبَقينا ننتظرُ اليومَ الذي سَتُشْرِقُ فيه الشمس. أخيرًا، في 29 حزيران/يونيو أرسلتِ الشمسُ أشِعَّتَها إلى أسفلِ الفُوَّهَةِ وظهرَ ظِلُّ سكارتاريس بوضوح. وعند الظُّهْرِ، غطّى الظِلُّ المِدْخنَةَ الوُسْطى، فهتفَ عَمّي قائلاً: «ها هي! ها هي!»

رحلةٌ صعبةٌ

هُنا بدأتْ فِعْلاً رِحْلتُنا. بدا الطريقُ الذي ينْبغي أن نَسْلُكه واضِحًا. وافق هانسُ على مُرافقتِنا إلى باطنِ الأرض. مَشَيْنا نُزولًا ثلاث ساعاتٍ ولم أتمكنْ من رُؤْيةِ المدْخَنة بعد. وكانتِ الجدرانُ المُنْحَدِرةُ تقتربُ من بعضها بعضًا وبدأ الظلامُ يُخيِّمُ على المكان. تابعْنا مسارَنا رُغْمَ ذلك. وبعد أن قُمْتُ ببعضِ الحِساباتِ عرفتُ أنّنا قد قطَعْنا ألْفينِ ومئتيّ قدم نزولًا في عَشْرِ ساعات.

في تلك اللحظةِ، سمعْتُ هانسَ يصرخُ: «توقّفوا! ها نحنُ قد وصَلْنا إلى قاعِ المدْخَنة.»

فسألَ عمّي: «أما مِنْ مَخْرجٍ آخر؟»

«ثمّةَ ممرٌّ ينحدرُ نحو اليمين، سنَسْتكْشِفُه غدًا. هيا بنا نتناولُ العَشاء وننام.»

وافقْنا على اقتراحِ هانس، فتناولنا العشاء ونِمْنا على سريرٍ من الحجارة والحُمم البُرْكانيّة. أيقظتْنا أشعةُ الشمسِ في الساعةِ الثامنةِ صباحًا. فتناولْنا الفُطورَ وأخذنا نستمعُ إلى تعليماتِ عمّي الدقيقة.

قال: «سندخُلُ الآن إلى باطنِ الأرْض.»

تسلَّلْنا إلى داخلِ المدْخَنةِ وتابعْنا تحرُّكنا حتّى المَساء. وكانت الحُممُ التي انْبثقتْ مِنَ البُركانِ في آخر ثَوَرانٍ له عام 1229 قد حَفرتْ مَمرًّا في النَّفق. عند الساعةِ الثامنةِ مساءً، أمَرنا عمّي بالتوقّفِ فاسترحْنا على الصُّخورِ وتناولْنا العَشاء. ثم قالَ: «أكسيل، يا بُنيَّ! أودُّ أن أُشيرَ إلى أنّ درجة الحرارةِ لم ترتفِعْ إلّا ثماني درجاتٍ منذ بدايةِ الرِّحْلَة. لا بُدَّ أن يُهدِّئ ذلك من رُوعِك.»

ابتسمْتُ وعبّرْتُ عن اقْتِناعي بكلامِه. وفي اليوم التالي، وصلْنا إلى نهايةِ المدْخنة. فظهر طريقان أمامنا. قرَّر عَمّي أن نأخذ النَّفقَ الشَّرْقيّ. وكان المسارُ عسيرًا ويصعبُ التنبؤ به. وجدنا أشياء مثيرةً كالصُّخورِ البدائيةِ وبقايا الحيواناتِ المُنْقرِضةِ التي تعودُ إلى فجْرِ التاريخ.

رُغْم كُلِّ ما تحمِلُهُ هذه الرِّحْلةُ من إثارة، كنتُ قلِقًا بسببِ نَقْصِ المياه. لم نصادفْ أيَّ منبع بعد. عبّرتُ عن خَشْيَتي أمام عمّي الذي تمنّى أن نُجِدَّ مِن استخدام الكمِّيّةِ المتبقيةِ من المياه قَدْرَ المُسْتطاع. هكذا فعلْنا حتى فرَغتْ مَطراتُنا. كِدْتُ أفقدُ وعْيي ولم أعُدْ قادرًا على المُتابعة. وكنت أتوسَّلُ إلى عمّي كي نعودَ أدراجَنا، وإلا سأموتُ عَطشًا. فشِلْتُ في ثنْي عزيمتِه، بل قرّر تغيير المَسارِ وعادَ واختارَ النفق الغربيَّ وقال: «سنجدُ الماء هُنا، أنا متأكّدٌ من ذلك.»

مرَّ بعضُ الوقتِ ثم استلقيْنا أنا وعمي كي نَرْتاح. أمّا هانسُ فكان يبحثُ عن الماء. ولِدهْشتِنا، تطلّع نحونا وصاح: «المياه! ها هي فوق!»

لحقناهُ بسُرْعة. وقبل وصولِنا سمعنا صوت المياهِ المُتدفّقةِ وراءَ الصُّخور. حفَرْنا في الصَّخْرِ إلى أن تفجّرتِ المياهُ صوْبنا. شربْنا وملأنا مَطراتِنا. شعرْنا بالانْتعاشِ وأصْبحْنا جاهزين لمتابعةِ رحْلتِنا.

في مهبّ الضياع

تابعْنا السَّيْر مُجدَّدًا وبلغْنا ثلاثين فرْسخًا جنوب غرب نُقْطَةِ انْطِلاقِنا من آيسلندا، بعُمْقٍ يُعادِلُ فَرْسَخيْن ونِصْفًا. كان يوجدُ تحتَ أقدامِنا هُوَّةٌ مُخيفةٌ. لكنها لم تُسَبِّب الرُّعْب لعَمّي الذي صاح قائلاً: «سنذهبُ بعيدًا مِنْ خِلالِها».

عَقَد هانسُ الحبالَ التي تَصِلُ بعضنا ببَعْضٍ تفاديًا لأيّ مكروهٍ قد يُصيبُ أحدَنا، وبدأنا بالانْحِدار. كانت هذه الهُوَّةُ عِبارةً عن تَصدُّعٍ ضيّقٍ في كُتْلةٍ مِنَ الغرانيت. تابعْنا النزولَ على دَرَجٍ حلزونيٍّ يبدو أن إنسانًا قد بناه.

لَحِقْنا دُوّامَةَ المُنْحَنَياتِ لأيامٍ طويلةٍ وعَبرْنا مسافةَ فَرْسَخَيْنِ وعُمْقَ خَمْسة فراسخ تحت مُسْتوى سطحِ الماء. ثمّ انتهتِ المنحدراتُ الصعبةُ وأصبحتْ أكثر سهولةً. كُنّا على عُمْقِ سبعة فراسخ تحت الأرض وخمسين فرسخًا من سنيفل. وعلى الرُّغْم من التَّعَبِ الذي كُنّا نُعاني منه، فقد كُنّا نشْعُرُ بصِحَّةٍ جيّدةٍ ولم نشْعُرْ بالحاجةِ إلى استخدامِ عُلْبةِ الإسعافات.

كان عمّي يُدوّنُ كُلَّ بياناتِ البوْصلةِ وساعةِ التوقيتِ ومِقياسِ الضَّغْطِ الجويِّ وميزانِ الحرارة. ووفْق حِساباتي، لم نعُدْ في آيسلندا بل تحت المحيطِ. فرِح عمّي حين علِمَ بذلك. أما أنا فلم أكنْ مُطْمئنًّا لوجودِ المحيطِ الهائلِ فوْقنا. مرّتْ بضعةُ أيامٍ حتى بلَغْنا مغارةً هائلةً يتدفّقُ على أرضِها الغرانيتية نهْرُنا العظيم.

أمْضى عمّي يومهُ وهو يُجري الحساباتِ ثم قال: «أكسيل، نحن على بُعْدِ خمسةٍ وثمانين فَرْسَخًا جنوب غرب سنيفل، وأظنُّ أنّنا على عُمْقِ ستين فَرْسخًا في وَسَطِ المُحيطِ الأطلسيّ.»

أُصِبْتُ بالدَّهْشة، رُغْم أن الأمور حتى الآن كانتْ على ما يُرامُ، وما من سببٍ واضحٍ كي أتذمّر.

مع مرورِ الأيام، كُنّا نتغلغلُ أكثر فأكثر داخل الكُتْلة الأرْضيَّة. نتقدَّمُ أحيانًا ما يقاربُ الفرسخَ أو الفرسخ والنصف يوميًا. وكان الطريقُ الذي نسلكه خَطِرًا جدًّا لكنّ مهاراتِ هانس وهدوءه كانا بغايةِ الأهميّة.

في أحد الأيّام، كانَ المنحدرُ سهْلاً فسبقتُ الآخرين. كنتُ أحملُ مِصْباحًا، وعمّي المصباح الآخر، وكنتُ أراقب طبقاتِ الغرانيت. فجأةً نظرْتُ إلى الخلْفِ فوجدتُ نَفْسي وحيدًا. صَرَخْتُ لكن ما من مجيب. ضاع صوتي بين أصداءِ المَغارة. بدأتُ أَشْعُرُ بالقلقِ وأخذ جسمي يرتعدُ من الخوْف. ويصعبُ على الكلماتِ أن تعبّرَ عن يأسي وحُزْني الشديدين. انتابني خوفٌ من الموتِ جوعًا وعَطشًا. وبحثْتُ عبثًا عن مَخْرج. كنتُ مُنْهكًا: وشعرتُ بأنّ جسمي مثل كُتلةٍ لا حياة فيها ملقيّة على أسفلِ الجُدْران، فبدأتُ أفقدُ الوَعْي.

عندما اسْتيقظتُ كان وجْهي مُبلّلاً بالدموع. ركضتُ من زاويةٍ إلى أخرى وبكُلِّ الاتجاهاتِ صارخًا ومُناجيًا بأعلى صوت. لكن هذه المرّة لاقى جُهدي نتيجةً وسمعتُ اسمي. إنّه عمّي. ودِدْتُ أن أركُض نحوه لكنّ الطريق كان بغايةِ الانْحدارِ فانزلَقْتُ.

فجأةً شعرتُ بأنَّ الأرضَ تنهارُ من تَحْتي. كنتُ أتطوَّحُ في الهواء إلى أن ارْتَطَمَ رأسي بزاويةِ صخرةٍ حادّةٍ ففقَدْتُ وَعْيي. وعندما أفقتُ رأيتُ عَمّي يُراقِبُني مُنْتظِرًا إشارةً للحياة. فتَحَ عيْنيّ وصرخ: «يا أكسيل، قد نَجَوْتَ.»

تأثّرتُ كثيرًا برقّتِه حينَ لفظ هذه الكلمات. بعد ذلك، بَقينا في المَغارةِ طوالَ النَّهار. وعندما عادتْ إليَّ لياقتي، قالَ عَمّي: «علينا أن نتابع سَيْرَنا الآن.»

تساءلْتُ في نفسي عمّا إذا كُنّا سنعبُرُ نهرًا أو مُحيطًا وإنْ كان في حَوْزَتِنا قاربٌ. أُثير فُضولي ثم دُهِشْتُ بالمَشْهَدِ أمام ناظريّ: بحرٌ تحت الأرضِ وشواطئُ كتلك التي كُنّا نراها في العالمِ الفوقي. لكنّ فَرْقًا وحيدًا لفتَني إذ إنّ الضِّفافَ كانتْ مهجورةً ومتروكةً بشكلٍ فظيع.

لاحظتُ نورًا أيضًا وتساءلْتُ عن مصدرِه، فشرحَ لي عَمّي أنه نورٌ كهربائيٌّ.

قادتْنا المغامرةُ إلى أبعد من ذلك. رأيْتُ أشجارًا غريبةً وكانتْ في الحقيقةِ فُطْرِيّاتٍ عِمْلاقةً، تسبَّبتْ في نموها الغريب الرطوبةُ والحرارة. حتى الشُّجَيْراتُ كانت عِمْلاقة.

شاهدْتُ أيضًا عِظامًا مما قبل التاريخ مُبعثرةً في كُلِّ مَكان. عندَها عُدْنا إلى المَغارة.

سألتُ عَمّي عن المسافةِ التي عَبَرْناها. فقال لي إننا على بُعْدِ مئةِ ميلٍ من آيسلندا تقريبًا.

ثمّ قرَّرَ عمّي اجتيازَ البحرِ بحْثًا عن مَسْلكٍ آخرَ في الناحيةِ المُقابِلة. دَرَسْنا ظاهرة المدِّ والجزْرِ وذُهِلْتُ عندما علمتُ أن تأثيرَ الشمسِ والقمرِ يصِل إلى قعْرِ الأرض.

قرَّرْنا المجازفةَ في البحر. وفي اليومِ التالي بنى هانسُ عوّامةً لكي تنْقُلنا عَبْرَ المياه. وكان طولُها عشر أقدامٍ وعرضُها خمسة وتطفو بسهولةٍ على الأمواجِ المُتحَرِّكة.

انطلقْنا في رحلتِنا الشيّقةِ والمثيرةِ في البحر. وحملْنا أمتعتنا وغادرْنا نحو الضِّفافِ الأُخرى. عُشْنا تجربةً استثنائية، وكان عمّي ينظرُ إلى الأشياءِ بإمعان. تفاجأتُ بسرورٍ برؤيةِ الحياةِ البحريةِ المليئةِ بالنباتاتِ والأسماك. حتى إننا عثرْنا على أنواعٍ من الأسماك التي انقرضتْ عن سطحِ الأرض. عند الظُّهْرِ ألقى هانسُ صنّارة صيْدٍ واصطاد سمكةً. وبحسب عمّي فإن هذه السمكةَ قد انقرضتْ عن الأرضِ منذ ملايين السنين.

قضيْنا أيّامًا في الماءِ وبدأ عمّي يفقدُ صبْرَهُ، فقال:

«بدأنا رحلتَنا منذ أيامٍ طويلةٍ ولا شيءَ يشيرُ إلى وجودِ شواطئَ قريبة. إننا نُضيِّعُ وقتنا ولا نتقدمُ أبدًا.»

بعد قليلٍ شعرتُ بالنُّعاس، لكن ارتجاجًا عظيمًا أيقظني. فقد كانتْ بعضُ الحيتانِ وبعضُ التماسيحِ الهائلةِ تتجه نحونا. حاول هانسُ أن يُغيِّرَ وِجْهةَ سيرِنا، لكنّ سُلحْفاةً بحريةً وثُعْبانًا بَحْريًّا قطعا طريقَنا. اعتقدْنا أنهما سيفترسانِنا لكنّنا كنا مُخْطئين إذ إنّهما تابعا سيرَهُما وهاجما بعضهما، وتشاجرا على مدى ساعتيْن ثم اخْتفيا في المياه.

انقضتْ أيّامٌ ونحن مرتاحون كثيرًا وسَطَ البحر. وفي يومٍ من الأيام واجهْنا عاصفةً مهولة: شُهُبًا من البرقِ وعواصف من الرعدِ وأمطارًا غزيرة. دامت العاصفةُ ثلاثة أيّام. نجوتُ من الموتِ بفضلِ سواعدِ هانس القوية. فقد حملني إلى عمّي واحْتمَيْنا بالصخورِ المُتدلِّيَة. حضّر هانسُ لنا العشاء. أكلنا ونمنا نومًا عميقًا مُتقطِّعًا ومؤلمًا. ولسوءِ الحظِّ تحطمت العوّامةُ على الصّخور.

لكنّ اليوم التالي مرَّ بهدوءٍ بدون أي إشارة لهبوب العواصف. استيقظْنا وجَمعنا أدواتِنا وطعامنا ثم تأكدتُ من الاتِّجاهاتِ في البَوْصلة. تفاجأتُ وصرخت كاسِرًا جدار الصَّمْتِ السائد. الإبرةُ تشيرُ إلى الشّمال بدل الجنوب!

حدّقتُ بالبَوْصلةِ مُجَدّدًا. وكانتْ حالتُها جَيِّدة. حَسِبْنا أنّ الرياحَ نَقلَتْنا إلى الضِّفافِ المقابلةِ لكنّها عمليًّا أبعدتْنا عن الشاطئِ الذي بدأنا منه. وأثناءَ العاصفةِ، حدثَ تَبدُّلٌ كبيرٌ في الرياحِ لم نلْحَظْه. اعتقدْنا أننا قد عبرْنا الضّفة، يا له من يأس.

لكنّ عمّي انتصب على الفَوْرِ وصاح: «أستتآمرُ الأحوالُ الجويّةُ ضدّي؟ أستهجمُ عليّ النارُ والهواءُ والمياهُ مجتمعةً؟ سيعرفون من أنا بالتحديد. لن أعودَ خطْوةً إلى الوراء. سنرى من سيستسلِمُ أوّلًا، الطبيعةُ أم الإنسان!»

حاولْتُ أن أشرح له بأن الطموحاتِ تواجه عوائقَ كثيرةً، لكنّه لم يأخُذْ كلامي على محْمَلِ الجدّ. أمر هانس أن يُعيدَ تركيبَ العوامةِ ثمَّ صرخ: «هيا بنا نذهبُ إلى ما وراءِ الصخورِ فيما هانس يُتابعُ عملهُ.»

ذهبْنا لنستكشف البحرَ، كانت عِظامُ الحيواناتِ المُنقرِضةِ تتناثرُ في كُلِّ مكان. حتى إننا عثَرْنا على جُمْجُمةِ إنسان. واصَلْنا السيرَ حتى وصلْنا إلى غابةٍ شاسعةٍ. خشيتُ الدخول لكنّ عمّي ليدنبروك تابع سيره إلى الأمام.

تبِعْتُهُ وسألتُه: «بما أنَّ الطبيعةَ أوجدتْ نباتاتٍ عديدةً في هذا المكانِ، فما المانعُ من أن نجدَ هنا حيواناتٍ رهيبةً أيضًا؟»

وسُرْعان ما توقّفْتُ وتمسكتُ بعَمّي. لقد رأيتُ بأُمِّ العينِ ظِلالاً تلوحُ وراء الأشجار. إنها حيواناتٌ عِمْلاقةٌ، فِيَلَةٌ ضخْمة. كنتُ أسمعُ ضوضاءَ أنيابِها العاجيّة وهي تكسرُ جذوع الأشجارِ وتقتلعُها بشراسة.

نظرَ عَمّي إلى هذه المخلوقاتِ باهتمامٍ وشغفٍ شديدين. ثم أمسكَ بيدي وهتف: «هيا بنا.».

فأجبتُه بانْفِعال:«لا! لن أفعلَ ذلك أبدًا. ماذا يُمْكِنُنا أن نفعلَ وَسْطَ هذا القطيعِ من البهائمِ العِمْلاقةِ ونحنُ لا نَمْلِكُ الأسلحةَ الناريةَ؟»

لم يسْمعْني عَمّي بل قال: «انظرْ إلى هُناك! أعتقِدُ أنّني أرى مَخْلوقًا يُشْبِهُنا. إنه إنسان!»

وفي الحقيقة، كان هُناك رجلٌ يقفُ على بُعْدِ رُبْعِ ميلٍ عنا ويُحدِّقُ بقطيعِ الفِيَلَة التي لا تُحصى. وكان طولُه يتعدّى الاثني عشر قدَمًا، ورأسُه كبيرًا كالجاموسِ يكسوه الشَّعْرُ الأشعثُ الكثيفُ. تحت تأثيرِ الصدمةِ، عُقِدَ لساننا ووَقفْنا متسمِّرَيْن ننظُرُ إليه مَليًّا.

«سوفَ يَرانا. علينا أن نركُضَ. تعالَ! هيَّا بنا.» وللمرّةِ الأولى اقْتَنَعَ عَمّي من كلامي. بعد رُبْعِ ساعةٍ، أودتْ بنا أقدامُنا الرشيقةُ بعيدًا عن هذا العِمْلاق. وفيما كُنّا نُهَرْوِلُ، وقع نظرُنا على خنْجَرٍ. التقطَهُ عمّي وقرأ الأحرُف الأولى:

«آ. س! آرْني ساكنوسم! آرْني ساكنوسم!»

التسبّب بثوران بركاني

فَرِح عمّي كثيرًا حينَ علِم أنّ آرْني ساكنوسم مرّ من هُنا. ثم عُدْنا إلى هانس الذي قرّر أن نسير في البحارِ مُجدّدًا. أخيرًا، وبعد ثلاثِ ساعاتٍ من الإبحار، بلغْنا مكانًا مُناسبًا للتوقف والنزول. وكانتِ الساعةُ السادسةَ عصْرًا. مَشَيْنا في البَرِّ ورأينا نَفقًا. وما إن دخلْنا وتقدّمْنا عدةَ خُطُواتٍ حتى أعاقتْ مسارَنا صخرةٌ هائلةٌ من الغرافيت. بَحَثْنا عن مَخْرجٍ في كُلِّ الاتّجاهات، ولكن دون جَدْوى. لقد بات مُسْتحيلاً أن نُكْمِلَ طريقَنا.

ثم اقترح عَمّي قائلًا: «هيا بنا نفتحُ مَمَرًّا بمعاوِلِنا.»

قلتُ: «هذا صَعْبٌ جدًّا! فمعْوَلٌ ومجرفةٌ لن تنفعانا. قد نُضْطَرُّ إلى تفْجيرِها بالبارود.»

حَفَرْنا حُفْرَةً صغيرةً في الصّخْرِ كي نُلْقِيَ البارودَ فيها وأَضَفْنا إليهِ فتيلاً طويلاً. كنتُ أحملُ فانوسًا كي أُشْعِلَ النار. فقال لي عمّي: بعد أن تولِع الفتيلَ، الحَقْنا إلى البحرِ تفاديًا لأيِّ خَطَرٍ قد يُسَبِّبُه الانْفِجار.»

أضرمْتُ الفَتيلَ فاشتعل وركضْتُ بكُلِّ قِوايَ نحو العوّامة. دَفعني هانسُ بقوّةٍ بعيدًا عن الضَّفّة. واندفعتِ العوّامة عشرين ذِراعًا في البَحْر.

كانت لحظةً عاطفيةً بامْتياز. عَدَدْنا خَمْس ثوانٍ ودَوَّى الانْفِجار. تَغيَّر مَوْضِعُ الصخورِ ولاحظتُ ثُغْرَةً تتكوّنُ على الساحِل. دخلْنا هذه الثُّغْرَةَ بسببِ قُوَّةِ الانفجار. وفي أقلّ من ثانيةٍ غرِقْنا في ظلامٍ دامسٍ. ثم أحسستُ وكأنّ ما من سَنَدٍ تَحْتي، ولا تحت العوّامة. اعتقدتُ أنني أغرقُ. أردْتُ أن أكلمَ عمّي لكنّ ضجيجَ الأمواجِ مَنَعَهُ من سَماعِ صَوْتي. بقينا ننجرفُ لساعاتٍ في سُرْعَةٍ هائلة.

تمسّكنا جيدًا كي نَبْقى سالمين. هذا هو الطريقُ الذي سلكَه ساكنوسم بالطبع، إلا أنّنا انجرفْنا في البحارِ بدلَ أن نسيرَ بسلام. لمحتُ بغتةً نورًا، فقد نَجَحَ هانسُ في إضاءةِ المِصْباح. أعتقدُ أننا كُنّا نسيرُ بسرعةِ ثلاثين فرْسَخًا في الساعة.

فجأةً وبعدَ فتْرةٍ وجيزةٍ، شعرْتُ بصدْمَةٍ حادّة. فبدون أن ترتطِمَ العوّامةُ بشيءٍ، بدأتْ ترتفعُ بَدَلَ أن تقع. اكْتَسَحَنا طوفانٌ مِنَ الماء. كِدْتُ أغرقُ لكنّ الطّوفانَ لم يستمر. بعد ثوانٍ وَجَدْتُ نفسي في الهواءِ أَتَنَشَّقُ الهواءَ بِكُلِّ قُوَّتي. بقيتُ مُتَمَسِّكًا بعَمّي وبهانس وكانتِ العوّامةُ تَحْمِلُنا فأَدْرَكْنا أنّنا نسيرُ صُعودًا.

قال عَمّي: «نحنُ في ما يُشبِهُ الحَوْض. فقد وصلتِ المياهُ إلى العُمْقِ وها هي تعودُ وترتفعُ وتجرفُنا معها.»

أَدْرَكْنا أثناءَ صعودِنا أن الحرارةَ تَرْتَفِعُ. فصارتِ المياهُ وجدرانُ النفَقِ ساخنةً للغاية.

نهاية الرحلة

صاح عَمّي: «إنّه ثورانٌ بُرْكانيٌّ يا أكسيل!»

«هذِهِ هَزَّةٌ أرضيّةٌ يا عَمّي!»

«لا يا أكسيل، هذه ليستْ بهزّة. نحن في مِدْخنةِ بُرْكانٍ ناشِط. أعتقدُ أن هذا أفضلُ ما يُمْكِنُ أن يحْصُلَ.»

فقلتُ له: «هل جُنِنْت؟»

أجابَ عَمّي: «لا، إنه أَمَلُنا الوحيدُ في الوصولِ إلى السَّطْحِ من جديد».

كان قدرُنا يَتَرَنَّحُ بين الحُمَمِ الحارقةِ والصخورِ المُنْصهرةِ والمياهِ المُغْلاةِ وكُلِّ الموادِّ البُرْكانيّة. كنا نُصَعَّدُ ونُدفعُ ونُقذفُ عاليًا في الهواء مع شظايا الصخورِ وانهماراتِ الرَّماد.

أذْكُرُ أنّنا بَقينا نَصْعَدُ كُلَّ اللَّيْل. وفي الصباح، ازدادتِ السُّرْعَةُ واجتاحتْ أشعةُ الشمسِ الدِّهْليزَ العَمُودِيَّ الذي كان يتّسعُ كلما ارْتفعْنا. لا أذْكُرُ فِعْلاً ما جرى، فالانْطِباعاتُ تختلطُ في ذِهْني بين التفجيراتِ المُتتاليةِ والأصواتِ المُدوّيةِ وارْتِجاجاتِ الصخورِ من حَوْلِنا وحركةِ عَوّامَتِنا اللولبيّة. وكانتِ الرياحُ تهبُّ بقوّةٍ من تحتِنا وتعصفُ بشدّةٍ في كلّ مكان. اعتقدْتُ أن الآخرة باتتْ قريبة.

حين فتحْتُ عَينيَّ شعرْتُ بيد هانس القويةِ تُمسِكُ بي وبيده الأخرى يُساند عمي. لم أُصبْ بجروحٍ بالغةٍ بل باهتزازاتٍ ورضّاتٍ قويةٍ. وجدتُ نفْسي مُلْقًى على مُنْحَدَرِ جَبلٍ، على بُعْدِ مترَيْنِ من هُوَّةٍ سحيقةٍ. أنقذني هانسُ من الموْتِ فيما كنتُ أتدحرجُ على طرفِ فُوَّهةِ البُرْكان.

نزلْنا لنسْتَفْسرَ عن المكان. في أسفلِ الجبلِ، التقيْنا بولدٍ أعْلَمنا أنّنا في سترومبولي.

كانتْ دَهْشتُنا كبيرة. يا لها من رِحْلةٍ رائعة!

دخلنا بُرْكانًا وخرجْنا من بُرْكانٍ آخرَ يبعدُ ألفي ميلٍ عن آيسلندا. استكشافُنا الغريبُ قادنا إلى أجملِ بُلْدانِ العالم، إيطاليا!

عاملنا سُكّانُ سترومبولي بغايةِ اللُّطْف. وألبسونا وأطعمونا.

بعد أيّام، عُدْنا إلى هامبورغ وودَّعْنا هانس. لقد أصبحْنا كُلّنا من المَشْهورين، وكان الجميعُ يتحدّثُ عن رِحْلتِنا. أمّا أنا فأصبحْتُ أسعد إنسانٍ في العالم يوم تزوّجْتُ من حَبيبَتي غروبن.

رحلة إلى باطن الأرض

... وسُرْعان ما توقَّفْتُ وتمسكتُ بعَمّي. لقد رأيتُ بأُمِّ العينِ ظِلالاً تلوحُ وراءَ الأشجار. إنها حيواناتٌ عِمْلاقةٌ، فِيَلَةٌ ضَخْمَة. كنتُ أسمعُ ضوضاءَ أنيابِها العاجيّة وهي تكسرُ جذوعَ الأشجارِ وتقتلِعُها بشراسة.

نظرَ عمّي إلى هذه المخلوقاتِ باهتمامٍ وشغفٍ شديدين. ثم أمسك بيدي وهتف: «هيا بنا.».

فأجبتُه بانْفعال: «لا! لن أفعلَ ذلك أبدًا. ماذا يُمْكِنُنا أن نفعلَ وَسَطَ هذا القطيعِ من البهائمِ العِمْلاقَةِ ونحنُ لا نَمْلِكُ الأسلحةَ النارية؟»

لم يَسْمَعْني عمّي بل قال: «انظرْ إلى هُناك! أعتقِدُ أنّني أرى مَخْلوقًا يُشْبِهُنا. إنه إنسان!» ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- رحلة الى باطن الأرض
- عائلة روبنسون السويسريّة
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- أوليفر تويست
- أحدب نوتردام
- أطفالُ سكّة الحديد
- الفرسان الثلاثة
- ديفيد كوبرفيلد
- الحديقة السريّة
- توم سوير
- كتاب الأدغال

ISBN: 978-9953-37-939-5

9 789953 379395

تم تصنيف هذه القصة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنف مستوى «ص»، «متقن أدنى» السنة السابعة والثامنة

ص

أكاديميا